المبحث الثاني عشر

الحق ... ما شهد الأعداء

النصر فى السادس من أكتوبر قلب الموازين العسكرية والإعلامية فى العالم ووضع مفاهيم وأسس جديدة لتأثير الإعلام والحروب النفسية على سير الحروب والإعداد للمعارك ، يقول ايلى زعيرا رئيس جهاز الاستخبارات الإسرائيلية فى كتابه «حرب يوم الغفران.. أسطورة فى مواجهة الواقع » عن الجو الهادئ شبه المثالى الذى ساد فى جيش الدفاع الإسرائيلى فى صيف 1973،فهيئة الأركان العامة لم تقم بالاستعدادات لاى حرب ووزارة الدفاع لم تقم باستكمال ما ينقص جيش الدفاع ، كما ان اثنين من قادة المناطق تم استبدالهما فيما بين يونيو وسبتمبر 1973 (شموئيل جونين للقيادة الجنوبية – ويونا إفرات للقيادة الوسطى) بل إن أحد الموضوعات الرئيسية التى شغلت هيئة الأركان العامة كان هو اختصار مدة الخدمة الإلزامية ... هل هذا موضوع يشغل هيئة أركان تستعد للحرب؟(ص 154)

– وفى موضع آخر يقول زعيرا وابتداء من شهر يونيو1973 وردت معلومات عن أن السادات أرجأ الحرب الى نهاية السنة ، ثم جاء نبأ صريح يفيد أن السادات أرجأ الحرب إلى نهاية السنة ،هذا النبأ جاء فى بداية شهر سبتمبر اى قبل الحرب بحوالى شهر ، وكان من الممكن الإحساس من خلال هذه المعلومات أيضا أن السادات سوف يؤجل الحرب إلى ما بعد نهاية 1973، ومن المحتمل أن هذه المعلومات إلى جانب حقيقة أنه لم تندلع حرب فى أبريل – مايو .أقنعنا بأن الحرب تأجلت. (ص155)

– وأضاف زعيرا أن هناك سببان على الأقل لتأجيل استدعاء الاحتياط ، كما

ظهر من شهادة وزير الدفاع أمام لجنه التحقيق ، ومن كلماته فى مؤتمر طاقم القيادة العليا لتلخيص حرب يوم الغفران وأول تلك الأسباب عسكرى ... فموشيه ديان كان شريكا فى الشعور بالثقة فى الجيش النظامى ،انه سيوقف الهجوم على خط الحدود حتى وصول قوات الاحتياط ، وحتى عن لم تبدأ التعبئة إلا مع بداية الحرب فإن سلاح الطيران سو يعاون القوات البرية بصوره فعالة ، ابتداء من الساعات الأولى للحرب.. وكان كلاهما وهمان عمليان.والسبب الثانى سياسيا ، فقد كان وزير الدفاع يخاف ان يؤدى استدعاء الاحتياط قبل الهجوم المصرى السورى إلى أن تتهم إسرائيل عن بدء هذه الحرب . وكان نظام الدعاية والخداع المصرى السورى فى الأيام السابقة لحرب الغفران قد عمل على إعداد الرأى العام العالمى لتقبل أن أى هجوم مصرى سورى إنما جاء ليسبق أى هجوم إسرائيلى جديد (ص 290).

– وعن تحقق عنصر المفاجأة الإستراتيجية ولا يمكن إنكاره يقول زعيرا :إذا كان وزير الدفاع موشيه ديان قد توصل إلى الاستنتاج فى مايو 1973 انه خلال شهر سوف تهاجم مصر وسوريا فعلية أن يعمل على أن تعد الحكومة الشعب فورا لهذا الاحتمال ، ولكن عندما يكون الوعى القومى غارقا فى سكينة وهدوء السلام طويل المدى ، فإن الحرب التى ستندلع فجأة ستؤدى إلى صدمة وإلى ضياع التوقعات والآمال . وعلى ذلك ففى قائمة مفاجئات حرب يوم الغفران كانت المفاجأة الأولى والكبرى فى خطورتها ، هى المفاجأة القومية التى جاءت نتيجة عدم تهيئة الشعب لاحتمال حرب قريبة ، رغم ان وزير الدفاع أدعى أنه تنبا بها مسبقا ... وقبل شهور من الحرب كانت الدولة مشغولة بالإعداد للانتخابات ، وأوصى رئيس الأركان وزير الدفاع بخفض مدة الخدمة الإلزامية ثلاثة شهولر وحصل على المصادقة ، وهو الأمر الذى من المؤكد أنه دعم وقوى الشعور بالهدوء والسكينة.(ص: 297،298)

– وفى موضع آخر من الكتاب يقول زعيرا «هل كان هدف المصريين هو أن

يخلقوا فى إسرائيل الوهم بأن لديها مصدر معلومات للنوايا يأتى منه إنذار بتوقيت الحرب ؟ هل كانت هذة مبادرة وخطة الرئيس السادات الخاصة ؟لماذا لم تصل معلومات عن سفر الرئيس السادات للقاء الملك فيصل فى أغسطس 1973، ولماذا لم تصل معلومات عن اللقاء السورى المصرى 21-23اغسطس 1973.. لماذا لم تصل معلومات عن أن السادات قد حدد يوم 22سبتمبر موعدا للحرب فى السادس من أكتوبر؟ لماذا طمأنت المعلومات أجهزة الاستخبارات عن طريق معلومات تفيد بأن السادات أرجأ الحرب إلى نهاية العام ... بقدر ما لدى من معلومات فإن كل ذلك يدل على إمكانية أن المعلومات كانت ضمن عملية الخداع المصرية ». (ص 177-178). - وفى موضع آخر من الكتاب يقول رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية (ص 25):أن هناك معلومات وصلت من مصادر مختلفة عن الحرب وأنها على وشك الإندلاع فى ديسمبر 1972 – والتى لم تندلع ، والمعلومات الكثيرة عن الحرب التى على وشك الاندلاع فى أبريل – مايو 1973 والتى لم تحدث هى أيضا ، واستنادا إلى كل المذكور عالية تكونت فى هيئة البحوث ثقة بدرجة عالية فى تلك المعلومات التى أفادت بأن مصر وسوريا تتجهان بالفعل للحرب ، لكن ليس قبل تسلم الطائرات والصواريخ من الإتحاد السوفيتى وبالتدريج هبطت وانخفضت صحة سائر المصادر الأخرى التى أبلغت عن تاريخ حرب متوقعة . وذلك بسبب خطة الخداع والمفاجأة الإستراتيجية التى اتبعها شخص ما بجوار الرئيس السادات.، وقال زعيرا: « لقد تبين لنا أن كل موضوعات الإعلام المصري كانت حملة خداع من جانب الرئيس المصري أنور السادات أو شخص بجواره، وأن هذا ليعتبر أكبر نجاح لمصر في حرب يوم الغفران».

*وجاء فى كتاب «التقصير» الذى سبق الإشارة إليه شهادة الجنرال – اسحق رابين – رئيس اركان الجيش الإسرائيلى فى حرب الأيام الستة ، وسفير إسرائيل السابق فى واشنطن ورئيس وزرائها بعد ذلك حيث قال « وقع موشيه ديان ورئيس

هيئة الأركان ، ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية فى انغلاق ذهنى ، فقد كانوا اسرى إيمانهم الشديد وتصريحاتهم بأن الحرب مسألة بعيدة وأن المصريين غير قادرين أو غير مؤهلين لخوضها ، وإذا خاضوها حقا فسنكسر عظامهم . إن هذا الانغلاق الذهنى باللغة السيكولوجية ،هو الذى جعلهم لا يصدقون الأنباء المتوفرة لديهم عن الحرب الوشيكة.

– وجاء فى نفس الكتاب بهذا الصدد فى (ص37،36):أنة فى يوم الثلاثاء 2 أكتوبر عندما كانت السيدة مائير فى طريق عودتها إلى إسرائيل ، تسلمت قيادة الجيش الإسرائيلى ووزارة الدفاع معلومات أخرى من الاستخبارات العسكرية عن تعزيز المواقع العسكرية المصرية فى الضفة الغربية من القناة ،كذلك وصلت من مصادر أخرى .كما ذكر من قبل . تحذيرات وإنذارات أخرى جاء فيها بوضوح أن القاهرة تستعد لبدء القتال ،ولكن الاستخبارات العسكرية فى إسرائيل والاستخبارات العسكرية الأمريكية التى تابعت هى أيضا تحركات الجيشين السورى والمصرى ،قدرت كل منهما على إنفراد أن المقصود هو مجرد مناورات الخريف ،على الأقل فى الجانب المصرى.

وقبل عودة رئيسة الوزراء من فيينا إلى إسرائيل ، عقد وزير الدفاع ثانية اجتماعا عسكريا على مستوى عال فى مكتبه ،ونوقش الوضع بتعمق ، لكن أحدا لم يفصح عن التخوف من أن تحركات الجيوش العربية هى للحرب وليس للمناورة ،بيد أن ديان لم يخفف قلقه ، وطلب تقييم الوضع خطيا ، ربما بسبب نظرته المتشائمة بصورة عامة ،وقد جاء الاستنساخ الخطى ،الذى عرض عليه ، ملائما للتقويم الشفهى .وملخصه ثلاث كلمات :احتمال ضئيل للحرب .

– ويوم الأربعاء 3اكتوبر ،عقدت السيدة مائير التى عادت توا من النمسا، اجتماعا على مستوى عال عرف فى أوساط الجمهور ، خلال الحرب ،باسم وزارة الحرب واشترك فى هذا الاجتماع ،بالإضافة لرئيسة الحكومة ، موشيه ديان وزير الدفاع ، وإيجال ألوان نائب رئيسة الحكومة ، وإسرائيل غليلى الوزير بلا وزارة ،

والجنرال دافيد العازرا رئيس الأركان ، وكذلك الجنرال ايلى زعيرا رئيس شعبة الاستخبارات ، وأحد كبار ضباطه . وقد وصفت حشود القوات ، خلال النقاش ، بأنها «معززة» ولكنها لا تتخطى الاستعدادات التى تتبع عادة فى المناورات، كما حدث أحيانا فى الماضى ، وقد تم التاكيد للمرة الثانية ،ان هناك احتمالا ضئيلا للحرب . كما اتفق على أنه لا لا لزوم لدعوة الاحتياط ، ولم يعترض على هذا القرار أحد من الذين حضروا الاجتماع.

– وقال أيضا الصحفيون السبعة فى كتابهم « التقصير»، إن عدم وجود رد فعل كان نتيجة لخطة التضليل المصرية ، وإن هذا وهذا فقط هو أساس الكارثة التى حدثت فى السادس من أكتوبر 1973.

– وقف ديان وزير الدفاع الإسرائيلي أمام ضابط الجيش الإسرائيلي بعد ثلاثة أسابيع من بداية سريان وقف إطلاق النار في حرب يوم الغفران وكأنه أراد الاعتذار عن التأخير في تعبئة قوات الاحتياط فقال «لم يكن أحد يتوقع حتى صبح يوم الغفران أن تنشب الحرب في ذلك اليوم ولا تبدأ تعبئة الاحتياط قبل ذلك.. فحتى صباح يوم الغفران لم أفكر أنا شخصيًا في أن الحرب ستقع ولم أسمع من أي شخص أن الحرب ستندلع حقًا ... ولم أكن الوحيد الذي أعتقد ذلك» وأكد وزير الدفاع ديان هذا الكلام مرة ثانية أمام الحكومة الإسرائيلية قائلاً: لم أسمع من أي شخص أنه يعتقد أن الحرب ستندلع في هذا اليوم.

– ولم تكن خيبة الأمل بالنسبة للمخابرات الإسرائيلية فقط بل للأمريكية أيضا ففشل إسرائيل يعتبرونه فشل أمريكى وهذا ما ترجمته كلمات الرئيس الأمريكي نيكسوت في مذكراته: إنها لخيبة أمل كبيرة لكل من المخابرات المركزية الأمريكية والمخابرات الإسرائيلية التي كنا نظن أنها ممتازة، بل إن ما حدث يعد فشلا، فلم نعرف أن الحرب ستندلع إلا قبل ساعات قليلة من اندلاعها.

– ولم يكن هذا رأى نيكسون وديان بل جاء في مذكرات هنري كيسنجر وزير

الخارجية الأمريكية عام 1973 أنه عندما جاء إلى مصر لأول مرة في الأيام الأخيرة من حرب أكتوبر وفي أول لقاء له مع الرئيس السادات قال كيسنجر: سيدي الرئيس قبل أي حديث بيننا أرغب من سيادتكم أن تقول لي كيف أمكن لمصر أن تخدعنا وتخدع مخابراتنا بل وتخدع العالم بهذا التعتيم الإعلامي ... لقد كانت المفاجأة معجزة ولم تحدث لي من قبل في حياتي.

* واعترف اللواء موشى يعالون «كان آخر شيء أفكر فيه فى 1973 هو أنه من الممكن أن تنشب حرب ،وأنى أتذكر النكبة وحرب الغفران ..وأود أن أقول أن عنصر المفاجأة فى حرب عيد الغفران شغلنى لفترة طويلة ، وبتحليلى لمفاجأة الحرب حتى لا أقع فى الخطأ نفسه ، توصلت إلى أنه يمكن أن يحدث هذا لنا مرة أخرى ،وأن الشيء الذى سبب لنا الهزيمة هو الثقة الزائدة بالنفس والغرور ،وأنى الآن أحاول تعليم العاملين معى التواضع...

* وعن الثقة الزائدة بالنفس والتهوين من الغير وهو ما فعلته إسرائيل فى أعقاب حرب العام 1967 يقول اللواء موشيه عيفرى سوكنيك :أننى من الجيل الذى تربى على الإعتقاد بأنه حين تطلق النار فإن العرب يهربون ،وأنه كانت هناك ثقة زائدة بالنفس واستهانة بالعدو ،وكانت حرب الغفران بالنسبة لى بمثابة تحطيم كثير من الأساطير.

* أما الباحث الجامعي الإسرائيلي «شارلز ليبمان» فقال: كانت إسرائيل منذ القدم تحول المآسي والهزائم إلى انتصارات ولكن حرب أكتوبر حطمت هذا الانطباع فلم تصبح إسرائيل قوة إقليمية رئيسية أو دولة آمنة وإلى الأبد. كما قال الجنرال ياكوف هداي الذي كان عضوًا في لجنة التحقيق العسكرية حول ما حدث في حرب أكتوبر «إن مصر وضعت نهاية الثقة الإسرائيلية بأنفسهم كما أنها أنهت تفاؤلهم.

* و في كتابه «السلام المراوغ»قال المحلل العسكري الأمريكي «تريفورن

ديوي»: كانت المفاجأة الإستراتيجية هي ثمار تخطيط ماهر وكذا أسلوب الخداع التكتيكي الذي أنتهجه المصريون و السوريون ،أن القيمة الحقيقية لحرب أكتوبر أنها أفرغت نظرية الأمن الإسرائيلي من محتواها وفندت مفاهيم عسكرية ومعتقدات روجت لها إسرائيل عبر ثلاثة عقود من تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي، وكان قد صرح الجنرال «إبراهام كامير» أحد قادة القوات الإسرائيلية بعد انتهاء الحرب «لا يوجد أي فرد في القوات الإسرائيلية على أي مستوى تنبأ بأن مصر ستدخل الحرب حتى جميع تقارير الـ C.I.E المخابرات الأمريكية والموساد الإسرائيلي لم يكن لديها أي اتجاه بأن الحرب ستحدث ولكن حدثت المفاجأة التي هزت إسرائيل هزًا وذلك لأن الإعلام المصري قام بسلسلة من الخداعات «الخطط الخداعية والتعتيم الإعلامي» على استعداد مصر للمعركة طوال عام كامل.

* ولم تكن تحليلات الصحف بعيده عن الاعتراف بالمفاجأة المصرية وخيبة الأمل الإسرائيلية الأمريكية فكتبت صحيفة الأوبزرفر البريطانية في 7/ 10/ 1973 في هذا التاريخ تعليقًا حول الوضع أيام 1976 والوضع الحالي في الشرق الأوسط قائلة «الاختلاف الكبير بين مصر في حربها اليوم ومصر منذ ستة أعوام ،هو أنه في عام 1967 انتشرت حُمى الحرب بين أفراد الشعب المصري قبل أن تبدأ الاشتباكات بحوالي ثلاث أسابيع فقط، وأعطى جهاز الدولة للدعاية صورًا لانتصار عربي ساحق واستمر ذلك حتى أيام الحرب القليلة وتحت تأثير الحملة الدعائية المحمومة كان أفراد الشعب خاضعين لحرب نفسية حقيقية وغير قادرين على تقدير الموقف. ومن كلمات تلك الصحيفة يتضح بجلاء الأسلوب العلمي الذي اتبعه الإعلام المصري في المعركة والذي أعلن عنه أكثر من مرة وفي أكثر من مناسبة وهو يرتكز على دعائم رئيسية كشفت عنها الصحيفة منها: «عدم التهوين بين قوتنا أو قوة العدو ورفع شعار إعرف عدوك، وتقديم صورة حقيقية وصادقة للمواطن عن الموقف وهو ما جعل الشعب يعرف أين يقف بالضبط دون

تهوين أو تهويل، وفي اليوم الرابع من القتال استضافت إذاعة لندن في برنامجها «العالم اليوم» الذي أذيع في الساعة 7.45 مساء ذلك اليوم مستر «فيليب وندسور» المتخصص في العلوم الإستراتيجية ووجه السؤال التالي: هل هناك ما يمكن أن تستخلصه من لهجة البيانات أو الطريقة التي تصدر بها تلك البيانات؟ ورد وندسور بقوله «إن المرء يلاحظ أن ما تعلنه مصر في بياناتها تتسم في واقع الأمر بالاتزان ويبدو واقعيًا جدًا، ومن الواضح أن ما تعلنه مصر في بياناتها معتدل جدًا وعلى الأرجح صادق جدًا.

* ولم تكن الصحافة الأمريكية بعيدة عن هذا التوجه فقال مراسل صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية بالقاهرة «مستر تانر» في رسالته إلى الصحيفة من القاهرة يوم 10 / 10/ 1973 «وأصبحت القاهرة دولة الترانزستور فالقاهريون يستمعون إلى إذاعة لندن وصوت أمريكا والمحطات الأوروبية الأخرى ومحطة الإذاعة المحلية، وخلال الأيام الأولى لبدء القتال عندما كان يحصل أي فرد على أي أنباء كان يسأل بتشكك: من أين استمعت إلى هذه الأنباء؟ واليوم عكس ما كان يحدث في 1967 تمامًا ، فإن معظم المواطنين مقتنعون أن حكومتهم تبلغهم الوقائع الحقيقة تقريبًا عن القتال. وكان هذا اعتراف مراسل أكبر صحيفة أمريكية موالية لإسرائيل بصدق الإعلام المصري في 1973 وتخبط الإعلام الإسرائيلي.

* وشاركت الصحافة اليابانية فى تحليل ونقل معركة الشرق الأوسط فكتب مراسل صحيفة بروتكايل طوكيو بالقاهرة «طاموشيدا»: في يوم 10 / 10 / 1973 يقول: بمقارنة البيانات التي تصدر الآن بتلك التي كانت تصدر أثناء حرب الأيام الستة يونيو 1967، نجد أن البيانات التي تصدر هذه المرة حول المعركة الحالية موثوق بها ويعتمد عليها، وهذه الحقيقة لم يعترف بها المصريون فحسب وإنما الدبلوماسيون والمراقبون الآخرون في القاهرة، وأن مضمون تلك البيانات تؤكد دائمًا ما يعرضه التلفزيون.

* و قالت وكالة الأنباء الفرنسية في برقية لها يوم 10/ 10 / 1973 «ومما يذكر

أن لهجة البيانات العسكرية مازالت مقنعة على عكس ما حدث عام 1967، فإن البيانات تشير دائمًا إلى أن هناك ثمة نجاح ولكنها لا تشير إلى النصر الكامل أو تدميرًا للعدو، وهكذا فإن درس 1967 قد أثمر وكل شيء بدى على أن الحكومة المصرية تحسب حساب الأيام القادمة.

* وقال مراسل التليفزيون البريطاني أنه من غير المألوف أن يستسلم موقع بهذا العدد الكبير من المقاتلين وأن ما شاهده جميع المراسلين أمر يعطي الثقة في البلاغات العسكرية المصرية ويؤكد أنها تعتمد على الحقائق؟

* و قال مراسل وكالة رويترز بالقاهرة أن تنظيم حضور المراسلين الأجانب لعملية استسلام الموقع الإسرائيلي كان أكثر من رائع.

* وكتبت صحيفة التايمز اللندنية على لسان مراسلها بالقاهرة في 14 / 10 / 1973 «لاحظ المراقبون الذين كان بعضهم موجودًا هنا في عام 1967 مدى رزانة الإعلام المصري في نشر أنباء الحرب، ويقول المعلقون المصريون هنا أن أخطاء سنة 1967 عندما كانت أجهزة إعلامنا تغرق في موجة من الانفعالات والهيستريا لن تتكرر وتنعكس هذه المشاعر بوضوح على تصرفات سكان القاهرة الذي يحملون معهم في كل مكان راديوهات الجيب للاستماع إلى الأنباء على الجبهة وهم ينجزون أعمالهم اليومية بأسلوب متزن ويشعر المصريون بثقة في الطريقة التي تنجز بها قواتهم مهامها، وقبلوا بروح طيبة دفع ضريبة إضافية فرضت لمواجهة التكاليف العالية لما وصف بأنها معركة التحرير.

* و نقلت صحيفة الإكسبريس الفرنسية في عددها الصادر يوم 18/ 10/ 1973 تصريح الجنرال« ماني فيليب »أحد القادة الإسرائيليين في جريدة معاريف الإسرائيلية قوله «لطالما هددنا القادة بالأوهام بيد أنه في الوقت الذي تفرغنا فيه لتعلم الكذب تعلم العرب كيف يقاتلون».

* وذكرت إذاعة لندن: في 10 / 10/ 1973 نقلاً عن صحيفة «ليموند»

الفرنسية ما يلي «إن القيادة العسكرية الإسرائيلية منعت الصحفيين من إلقاء الأسئلة على الضابط والعسكريين الإسرائيليين وفرضت رقابة شديدة على الأخبار الواردة من سيناء وأضافت أنه بعد أسبوعين من المعارك المريرة المتوجة بالانتصارات العربية أصبح الجيش الإسرائيلي في حاجة إلى ضربة طنانة بعد أن فشل في تحقيق نصر سريع.